العدد (1634) السنة السابعة - الأربعاء (21) تشرين الاول 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

جائزة

الرئاسة الاميركية.. صدمة نوبل وقوة أوباما

لا أعرف ما هو وقع فوز الرئيس الأميركي باراك اوباما بجائزة نوبل للسلام، وكيف تم استقباله لإعلان الخبر الذي ادخله قائمة الرؤساء المسالمين، بالضد من التاريخ الرئاسي الامريكي الحافل بالرؤساء المحاربين؟ وهل يعني هذا الفوز انزياحا في توصيف الجائزة، أم تغايرا في طبيعة المواصفات الرئاسية التي اعتدنا ظاهرتها الصوتية الحادة، وخصالها المحاربة، وفهمها الامبريالي النقي للسلام والحرية والديمقراطية؟

علي حسن الفواز

ما احسبه في قراءة هذا الفوز هو محاولة في طرح اقتراح لتجاوز عقدة(قبول)اميركا في العالم بعد سلسلة طويلة من الحروب والازمات والرئاسات الخشنة، خاصة مابعد احداث ايلول ٢٠٠١ والتي تركت العالم تحت مخالب السلطة الاميركية بشكل فاضح، فضلا عن الرغبة في تغيير زاوية النظر الى اميركا الدولة والإمبراطورية والقيمة، ومحاولة دولية لطي ازمات معقدة استغورت مفاهيم الحوار والدبلوماسية، وحولت العالم الى قرية صغيرة على وفق القياسات العولمية، لكنها بالمقابل قرية محكومة بالمراقبة والضغط والحروب الطارئة والجاهزة والعنف الايديولوجي.

ازاء كل هذا ثمة من يتساءل أيضا، هل كان الفوز المفاجئ للرئيس الأميركي اوباما بجائزة نوبل للسلام مقبولا عند الكثير من الاوساط السياسية والثقافية، او مرفوضا عند بعضها من اصحاب المرجعيات التي تضررت من هيمنة النموذج التقليدي للرئاسة الاميركية صاحب الذراع الطويلة في الحروب الصغيرة والكبيرة، والدعوة لقبول نمط السياسات الناعمة للرئيس الاميركي الجديد اوباما، اذ ان المثير في موضوع الجائزة أنها تمنح لرئيس جديد في دولة عظمى ولم تمض على خدمته الرئاسية اكثر من تسعة أشهر اكلت نصفها الازمة الاقتصادية العالمية وتداعياتها على الاقتصاد الاميركي، ناهيك عن ازمة الحرب في افغانستان والعراق، وتداعيات الصراعات المجاورة حول الملف النووي الايراني والملف الكوري الشمالي، وازمة الشرق الاوسط، وعقدة الارهاب وغيرها، اذ لم تختبر بعد آفاق مشاريعه السياسية الأخرى خاصة في المجالات الستراتيجية، ولم تكتشف احلامه بعد، خاصة تلك التي تتعلق بإقامة العدل الدولي ونزع فتيل تلك الحروب والصراعات والملاحقات النووية بين الدول وكبح جماح اسرائيل الرافضة لكل شيء، بدءا من الحقوق التاريخية للفلسطينيين وحقهم في العودة وإيقاف الاستيطان والنبش في القدس والحروب المفتوحة في المسجد الاقصى.

بيان اللجنة المسؤولة عن الجائزة التي فاز بها الرئيس الامريكي والتي اعلنها القيمون عليها تقول أن هناك العديد من الرؤساء والشخصيات الدولية قد ترشحت للفوز بهذه الجائزة ومنهم من يملكون اجندات(شرف) وامتيازات تؤهلهم للفوز على وفق القياس النرويجي، لكن هذه اللجنة «أولت أهمية خاصة لرؤياه(أي رؤية اوباما) وجهوده من اجل عالم خالٍ من الأسلحة النووية». وأضاف البيان: «وبوصفه رئيساً، أوجد اوباما مناخاً جديداً في السياسة الدولية. واستعادت الديبلوماسية المتعددة الطرف موقعاً مركزياً، مشددة على أهمية الدور الذي يمكن ان تتولاه الأمم المتحدة وباقي المؤسسات الدولية. وأعطيت الأفضلية للحوار والمفاوضات بصفتها وسيلة لحل النزاعات الدولية وضمنها الأشد صعوبة». وزادت في تصريحها: «نادراً ما شدّ شخص كما فعل اوباما، انتباه العالم ومنح البشرية الأمل بغد افضل».

هذه الجائزة(الاوبامية) فيها من الصدمة اكثر من القبول، اذ ان تاريخ الرؤساء الاميركان هو تاريخ محارب دائما، وان اكثرهم لايتمتعون بالرومانسية الخالصة من اغلب شعوب الدنيا، خاصة تلك الشعوب الفقيرة او التي مازال اليسار القديم معششاً فيها، او مازالت قطارات الثورة الدائمة تعبر بالجوار منها، فضلا عن ادوار هؤلاء الرؤساء الارستقراطيين الحادّي الطباع في صناعة النموذج الغرائبي لـ (الرئيس) والتعمد في صناعة مضخمة للازمات الكونية بدءا من الازمات المخابراتية التي تثيرها عادة وكالة سي، آي، أي، مرورا بالازمات المالية وانتهاء بانقلابات(التبغ والكاكاو والموز والقطارات والرقيق الابيض) والاحتلالات السريعة بقوة المارينز والتي تحدث هنا او هناك وبقرارات رئاسية خالصة..

هذا التوصيف والمرجعيات هو ما يجعل التفكير بمنح رئيس أمريكي جائزة للسلام وهو على رأس السلطة أمرا فيه الكثير من الغطا زيا والغرابة والاثارة، مثلما فيه من الجاذبية والتساؤل..فما الذي اثاره الرئيس باراك اوباما حقا بالنسبة لأجندة(لجنة جائزة نوبل)ليكون صاحب الحظوة في الحصول على امتياز هذه الجائزة؟ وهل مجيئه وهو(الاسود) إلى البيت(الأبيض)السبب الصادم لتجاوز عقدة الجائزة التي لا تخلو من عنصرية، أم في الطريقة الدراماتيكية في خطبه الرنانة التي هيجت جيلا جديدا من الثوار للاحتجاج على مهيمنات اللون والطبقة والجيب، ام انه اعادة انتاج ظواهر فيها الكثير من الرومانسية الثورية مثل رومانسيات مارتن لوثر كينج وباتريس لو مابا وفرانز فانون، وايميه سيزار، أم ان اعلانه عن الالتزام العلني بالتعاون الدولي والسعي الى تحقيق السلام في الشرق الاوسط ومكافحة الانتشار النووي كاف كشعارات براقة لتحريض شيوخ اوسلو على منحه الجائزة؟ وهل حميميته المعلنة في الالتزام بالمسار التغييري الذي يطبع رئاسته واعتماده الدبلوماسية والحوار في التعاطي مع تحديات دولية واقليمية بينها الملف النووي الإيراني وفي التواصل مع العالم الاسلامي دليل على جديته في ان يصنع من اميركا دولة شعبية لا تحارب ولا تطارد أحدا؟

اعتقد ان هناك الكثير من هذه الأسئلة المثيرة جدا ازاء تاريخ الرئاسات الامريكية، تلك التي تتعلق بهويتها وطبيعتها ونمطية القوة التي ارتهنت اليها دائما في التعاطي مع الملفات الدولة، ومع قضايا الثورات الاجتماعية والثقافية، وبالمقابل فإن بعض هذه الاسئلة فيه الكثير من التحريض على طبيعة هذا التاريخ الذي لم ينزع خوذته المحاربة، ولم يتخل عن صفة الرجل المخابراتي الدائم، وان ينزع لان يكون مواطنا كونيا، تستقبله الجماهير دون احتجاج او هتافات مضادة، وان يكون للرئيس الامريكي الدور الأخلاقي في قلع اضراس الديكتاتوريات والطغاة ولكن بشكل اكثر تهذيبا دون اثارة المزيد من الاوجاع والازمات والحروب الثانوية الاشد مضاضة..

اوباما قد يبدو رئيسا خارقا للعادة الامريكية، ونافرا عن تاريخ ألوانها وأنماطها وعاداتها وحتى نظامها الطبقي، وهذا التغاير هو الصانع الاستثنائي للصدمة الرئاسية اولا، والصدمة الأخلاقية ثانيا، فضلا عن الصدمة اللونية ثالثا، واحسب ان التصريحات التي استقبلت فوز أوباما بجائزة نوبل للسلام تعكس طبائع هذه التغايرات والكيفيات المختلفة في التعاطي معها، فضلا عن انها تؤكد في عمقها الرغبة في ان تنزع امريكا ثياب الجنرالات وترتدي ثياب الشعراء، وان نقرأ عن والت ويتمان والن غيسنبرغ، اكثر ما نقرأ عن هنري كيسنجر وعن الجنرال كولن باول، وان نقرأ عن وتني هويسن اكثر ما نقرأ عن كونليزا رايس...

هذه الرغبة العميقة في ان تكون اميركا دولة للسلام وليست للحرب، كشفت عن نوايا الكثير من زعماء العالم، والكثير من سياسييه، مثلما كشفت عن رغائب الكثير من الناس ممن خضعوا للمهيمنات والحروب الامريكية باستثناء مؤسسة طالبان المحاربة خارج المعنى وخارج السياق والتي اضرت الاسلام اكثر مما رفعت له شعارات النقاء والصفاء، وقد يقول البعض منهم كفى للحروب التي لاتنتهي، والمجاعات والازمات والصراعات التي تأكل من جرف الفقراء، وحان الوقت لان يعيش العالم بسلامٍ وامان، وان تكون الحريات مصانة، والتعليم متاحاً للجميع، والسفر مباحا دونما هوامش قاتلة عند المطارات والحدود.

إن حساب اعادة امريكا الى ثقافة السلام، وتجاوز ما كرسته من نمطية تقليدية للمواجهة، اظنه من أكثر الحسابات التي تحتاج إلى مسؤولية ووعي استثنائيين، لان امريكا ليست الصومال وليست جزر البهاما، وانما هي صاحبة المطبخ الكوني المسؤول عن عسر هضم الكثيرين، وان تحولها ولو المحدود من سياسة القوة الخشنة الى سياسة القوة الناعمة يعدّ من الامور التي تحتاج الى وقفات لأنه يعني تفكيكا للايديولوجيا القديمة، ولنمط مفهوم الرئاسة القائمة على التبشير بهذه الايديولوجيا. وهذا ما يجعل النظر الى تغيير العناوين من الحرب الى السلام، واعادة انتاج المسؤوليات وتوزيع الادوار والوظائف من الامور التي تحتاج الى قراءة مغايرة بعيدا عن الانفعالات الجاهزة والكراهيات الجاهزة، والمواقف التي لاتصنع سوى الهزائم والازمات.. لذا اجد ان جائزة السلام لأوباما هي صدمة لإنتاج سلسلة من(السلامات) التي نطمح لأن تكون حقيقية، لان السلام الحقيقي سيكشف الكثير من الطغاة والظلاميين الذي يمارسون حروبهم السود وسط العتمة دائما، ووسط نزعة الحروب والخرابات التي تسكن نفوسهم قبل ان تسكن الارض والثقافة..

رؤية

معركة الدستور والانتخابات

حسين عبد الرازق

تركز الأحزاب والقوى السياسية في الوقت الحاضر على الاستعداد لانتخابات مجلس الشعب القادمة في ٢٠١٠، سواء بالنسبة لتحديد أسماء مرشحيها المحتملين في الدوائر المختلفة والتحالفات والتنسيق فيما بينها، وكذلك تعديل الأوضاع القانونية والسياسية التي تجري فيها هذه الانتخابات، بما في ذلك تحقيق التكافؤ بين مرشحي الأحزاب المختلفة وإلغاء القيود على اتصال المرشحين من كل الأحزاب والقوى والتيارات السياسية بالناخبين والمساواة بين الجميع في استخدام أجهزة الإعلام الرسمية والصحافة القومية، وإصدار قانون جديد لمباشرة الحقوق السياسية وتولي لجنة دائمة قضائية مستقلة إدارة العملية الانتخابية وإقرار نظام القوائم النسبية غير المشروطة والمنقوصة والمفتوحة بدلا من نظام المقاعد الفردية.. إلى غير ذلك مما ورد في مشروعي قانون مباشرة الحقوق السياسية وانتخابات مجلس الشعب التي شاركت أحزاب المعارضة الرئيسية والقوى السياسية في صياغتها خلال التسعينيات وبداية الألفية الثالثة.

وأدى التركيز على الانتخابات النيابية إلى تأجيل الاهتمام بانتخابات رئاسة الجمهورية التي تجري في / أيلول سبتمبر عام ٢٠١١. ومن وجهة نظري فمن الخطأ تصور أن الوقت مازال مبكرا للاهتمام بانتخابات رئاسة الجمهورية، أو الفصل بين انتخابات مجلس الشعب وانتخابات الرئاسة، فالوقت المتبقي على فتح باب الترشيح يوليو / تموز ٢٠١١ قبل الانتخابات بـ ٦٠ يوما لا يتجاوز عاما و١٠ أشهر، وهي مدة لا تكفي للاستعداد لمثل هذه الانتخابات وطرح المرشحين المحتملين من جانب الأحزاب والكتل السياسية على الرأي لعام، وضمان نزاهة وحرية انتخابات الرئاسة والتكافؤ بين المرشحين يتطلب من الآن وقبل الآن خوض معركة لتعديل الدستور والقوانين الأساسية المكملة له والتي توثر في انتخابات الرئاسة، كقانون مباشرة الحقوق السياسية وقانون تنظيم الانتخابات الرئاسية ١٧٤ لسنة ٢٠٠٥ والقوانين الخاصة بالإذاعة والتلفزيون، والتجمهر، وإلغاء حالة الطوارئ. والتعديل المطلوب في الدستور لن يقتصر على تعديل المادة ٧٦ الخاصة بانتخاب رئيس الجمهورية لتنص طبقا لاقتراحات حزب التجمع عام ٢٠٠٦ على » أن ينتخب رئيس الجمهورية بالاقتراع السري المباشر في انتخابات تعددية وتحت إشراف كامل من القضاة، ويعتبر فائزا الحاصل بين المرشحين على الأغلبية المطلقة، فإذا لم يحصل أي من المرشحين على الأغلبية المطلقة يعاد الانتخاب خلال ١٥ يوما بين الاثنين الحاصلين على أعلى الأصوات من بين المرشحين، ويحدد القانون الشروط الموضوعية الواجب توافرها في المرشح لرئاسة الجمهورية«، بل لابد من أن يمتد التعديل للمادة ٧٧ وتحديد مدتين متتاليتين كحد أقصى لتولي شخص واحد لمنصب رئيس الجمهورية، وكذلك إلغاء المواد ١٣٧ و١٣٨ و١٤٢ التي تعطي رئيس الجمهورية الهيمنة على السلطة التنفيذية على حساب مجلس الوزراء، وتعديل المواد ١٤١ و١٥٣.. إلخ.

ومشكلة تعديل الدستور في مصر، أن طلب التعديل لا يأتي إلا من رئيس الجمهورية أو ثلث أعضاء مجلس الشعب ويصدر بموافقة ثلثي أعضاء المجلس المادة ١٨٩ من الدستور أي أن التعديل يتطلب موافقة الحزب الوطني الذي يحتكر الحكم والأغلبية »الكاسحة« في مجلس الشعب منذ بدء التعددية الحزبية المقيدة عام ١٩٧٦، وبالتالي فالاستجابة لهذه المطالب الديمقراطية التي يعارضها حزب الرئيس غير واردة إلا في حالتين، الأولى إجراء انتخابات حرة في مصر تؤدي إلى هزيمة الحزب الوطني وتشكيل الأحزاب الديمقراطية لأغلبية ثلثي مجلس الشعب وهو أمر لا يبدو واردا في الانتخابات القادمة عام ٢٠١٠ في ظل الأوضاع السياسية والقانونية القائمة، الثانية نجاح الأحزاب والقوى السياسية في تشكيل رأي عام منظم وضاغط يلزم رئيس الجمهورية والحزب الحاكم بتعديلات دستورية في هذا الاتجاه، وهو أمر رغم صعوبته لظل ممكنا إذا خاضت الأحزاب والقوى السياسية هذه المعركة معا بقوة وتواصل ونجحت في جعل الرأي العام طرفا أصيلا فيها.. وهي معركة لابد من أن تبدأ اليوم وليس غدا.

قضية

هل تشكل بلوشستان نقطة ضعف للجمهورية الإسلامية الإيرانية

سلام العبودي

أفاد بأن جماعة جند الله السنية أعلنت مسؤوليتها عن التفجير. ويعد هذا أكبر هجوم ضد الحرس الثوري الإيراني في السنوات الماضية.

يشار إلى ان السلطات الإيرانية تتهم عادة جماعة جند الله بالمسؤولية عن تصعيد أعمال العنف في محافظة سيستان بلوشستان التي تقطنها أغلبية من عرقية البلوش. اما جماعة جند الله فتقول إنها تقاتل ضد ما تصفه بالقمع السياسي والديني. وفي تموز الماضي، أعلنت السلطات الإيرانية أنها أعدمت شنقا ١٣ شخصا من عناصر جماعة جند الله. وقالت أنباء إن بين من نفذ فيهم حكم الإعدام عبد الحميد ريجي شقيق عبد الملك ريجي زعيم جماعة جند الله.

حول الوضع في محافظة سيستان–بلوشستان، كتب فاريبا عادلخاه Fariba Adelkhah (باحث في العلوم السياسية – مركز البحوث والدراسات الدولية CERI، باريس)، تحت العنوان أعلاه، ما يلي ترجمته:

"يبدو أن إقليم سيستان – بلوشستان Sistan-Baloutchistan، في الجنوب الشرقي من البلاد، يشكل نقطة ضعف للجمهورية الإسلامية الإيرانية. فمنذ عام ٢٠٠٦، تتزايد في هذا الإقليم الاعتداءات التي تنفذها المجموعة المسلحة المسماة (جند الله). والعنف الذي تنفذه هذه المجموعة يأتي ليزيد في ضنك معيشة إقليم طرفي متأخر عن ركب التنمية، فهو إذن محروم من بعض الحقوق المدنية. وينصب القلق حول اتصالات هذه المجموعة المحتملة مع التبعية الطالبانية كما حول الدعم الذي قد تقدمه العربية السعودية، وحتى الولايات المتحدة. كما يلوح في الأفق خطر اتساع تمرد البلوش الباكستانيين إلى إيران. ويتغذى هذا الخطر من ذاكرة الثورات الكبرى التي قامت خلال فترة ما بين الحربين العالميتين وتلك التي قامت في عقد سنوات ١٩٧٠. ولإقليم سيستان–بلوشستان هذا أهمية ستراتيجية كبرى بسبب مجاورته لأفغانستان ومضيق هرمز.

ولكن واقعه الاجتماعي لا يقتصر على تمرد انفصالي لأقلية دينية أو عرقية؛ فاللصوصية مستوطنة في الإقليم على الدوام وهي في يومنا هذا أقل ارتباطاً بمطلب سياسي مما بتجارة مزدهرة قوامها المخدرات والكائنات البشرية. بعد هذا، فإن انضمام سنة سيستان–بلوشستان للتعاليم الدينية الشائعة في شبه القارة الهندية يجب أن لا يفسح مجالاً للالتباس، ذلك لأن أغلبهم يجاهرون بإتباعهم طريقتهم الصوفية التي ممارستها الدينية قريبة إلى حد ما من الممارسة الشيعية. وفي حياتهم اليومية، يتجلى نسبياً الشقاق المذهبي في عقود زيجاتهم وتعاملاتهم التجارية. أخيراً، فإن الجغرافية البشرية لسيستان– بلوشستان ليست على انشطار ثنائي له طابع عرقي أو ديني، بين المركز والضاحية. إن البلوش، لا يكونون تشكيلة متجانسة، فنصفهم يعيش في المدينة والنصف الآخر يعيش في وسط ريفي؛ وهم موزعون في قبائل وزمر متنازعة. وفوق هذا كله، تضم بلوشستان بأكملها رهطاً أسندت له الجمهورية الإسلامية بعضاً من الفرص التعليمية والإدارية والسياسية للارتقاء، وحتى الاندماج الجزئي بالثقافة الفارسية.

إضافة إلى ما تقدم، لا يمثل البلوش سوى قرابة ثلاثة أرباع سكان الإقليم. إن الزابوليين، الناطقين بالفارسية، معدون بدرجة أفضل وهم يسيطرون على إدارة الإقليم؛ وأن البيرجنديين فيه مؤثرون كذلك. وقد استقر في الإقليم نازحون أصلهم من كرمان ويزد منذ زلزال عام ٢٠٠٧، كما إن ناساً من الباميين، وكذلك من الأزريين الناطقين بالتركية قد استوطنوا فيه بدورهم. ويستقبل الإقليم أعداداً ضخمة من المهاجرين الأفغان. وهو يعيش حالة تعاضد مع الوافدين إليه إلى جانب شتات البلوش في جنوب آسيا وفي منطقة الخليج.

يتجرع البلوشيون، في هذه القرينة، حرماناً مزدوجا: على الضد من سكان وسط إيران، لكونهم سكان إقليم طرفي ولكونهم أقلية دينية، بل وكذلك قياساً بالجماعات العرقية الأخرى، باعتبارهم مواطنين أصليين منبوذين. مع ذلك، هم ليسوا خارج إطار ما يجري في الجمهورية. فمشاركتهم في الانتخابات الأخيرة كانت مساوية، بل أعلى من نسبة المعدل العام. وإذا كان الرجال قد اشتكوا من التمييز العرقي الذي تعرضوا له جراء ملابسهم التقليدية، فإن النسوة اقتدين طواعية بملابس المواطنة الطهرانية أو ارتدين العباءات السود فوق ثيابهن البلوشية والتي تجعل منهن رمزاً للتزمت الديني في الجمهورية. وإن إتباع هذا الأمر الشرعي لا يخلو من فوائد بالنسبة لمجتمع قبلي ما زالت تسيطر فيه قاعدة الأخذ بالثأر ما بين العوائل. وإذ ليس بمقدور ميناء شابحر منافسة ميناء دُبي ولا حتى ميناء بندر عباس، فإن الإقليم يشهد تضخماً عقارياً جراء المحفزات الضريبية، والتجارة الحدودية المشروعة وغير المشروعة، وتربية السرطانات، وصيد الأسماك. ولكن ثروته الحقيقية هي ميزته بتشكيل همزة وصل بين آسيا الوسطى والخليج، وكذلك بين آسيا الداخلية وشبه القارة الهندية. طريق يسلكه التجار، والمهربون، والحجاج، والطلبة، والعائلات، والنازحون، وربما المقاتلون كم كانت تؤكد ذلك إدارة بوش.

إن إقليم سيستان–بلوشستان يشهد مصاعبه المتمثلة بـ: "الجفاف، غياب الاستثمار الصناعي، الشعور بالأمن، تحصيص المحروقات الذي يشل الاقتصاد ويشجع شتى أنواع الغش، الأزمة المالية التي تضرب دُبي وخطر تسريح وترحيل المهاجرين. وليس هناك ما يحول دون أن يلعب الإقليم الورقة القومية بدلا من التدمير. فلأن زعيم جند الله ينتسب إلى عائلة كبيرة بعض أعضائها نواب وموظفون في الجمهورية، ولأنه هو بالذات يتمتع بسمعة كونه قد خدم في مخابرات الجمهورية يكفي هذا لتوضيح تعارض العلاقة التي يرتبط بها الإقليم مع طهران. فالقضية البلوشية هي عرقية أو مذهبية أقل مما هي سياسية".

رحيل

محمد السيد سعيد.. وداعا

فريدة النقاش

د. محمد السيد سعيد

رحل الصحفي والكاتب »محمد السيد سعيد« عن عالمنا وهو في أوج ازدهاره الفكري وقمة عطائه، بعد أن أثرى حياتنا الثقافية والنضالية بإسهامات لا تنسى فقد شارك مبكرا جدا في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي في تأسيس المنظمة المصرية لحقوق الإنسان التي شهدت في ظل قيادته لها أغنى وأعمق إنجازاتها، وكان أن عاقبه الأمن عقابا قاسيا بعد أن أيدت المنظمة إضراب عمال الحديد والصلب الذي قتلت فيه الشرطة العامل محمد عبدالحي عام ١٩٨٩، وجرى حينها إلقاء القبض على »محمد السيد سعيد« مع آخرين بتهمة التحريض، وتعرض لتعذيب وحشي في المعتقل. وتواصل إسهامه في إغناء حركة حقوق الإنسان ومنظماتها في مصر وتأسيس أدبياتها ونسج علاقاتها الوثيقة مع حركة حقوق الإنسان العالمية، التي عاونت الحركة المصرية وشكلت حماية لها من البطش وأجبرت الحكم في هذا السياق على إنشاء المجلس القومي لحقوق الإنسان الذي يسعى الآن ليكون مجلسا قوميا بحق ومستقلا عن الحكومة ليتجاوز الحدود التي وضعتها له كديكور.

قليلون من أبناء جيل »محمد السيد سعيد« الذين ترعرعوا في أحضان الحركة الطلابية والحركة الشيوعية في سبعينيات القرن الماضي هم الذين اشتغلوا بالصحافة والفكر معا، وحافظوا مع ذلك على المستوى الرفيع في الحالتين وهو أستاذ هؤلاء جميعا. حين عمل مراسلا لجريدة »الأهرام« في واشنطن طور بسرعة مثيرة للإعجاب مهنة المراسل، وأخذ يغوص في قلب المجتمع الأمريكي ويحفر بدأب ليلتقط أعمق دبيب لحركته الداخلية ويستشرف آفاق تطوره، دون أن ينسى، كما يفعل الكثيرون الآن.. الدور الإمبريالي لأمريكا في العالم ولم يغرق في الموضوعات السهلة والمستهلكة والطريفة، فكانت رسائله تشكل معرفة جديدة لقراء الجريدة اليومية، وإضاءة للعلاقات العالمية المعقدة، وأساسا موضوعيا لتشكيل المواقف.

لم يقنع »محمد« بموقعه المريح والمربح من مؤسسة »الأهرام« الحكومية كنائب لرئيس مركز دراساتها، وإنما اندفع بكل طاقته ليؤسس جريدة جديدة يومية لليسار، معارضة وشجاعة هي جريدة »البديل« وبعث فيها من روحه ووهج عقله المبدع حياة معتمدا علي جيل جديد من شباب اليسار المفعم بالأمل وبالطموح والذي دربه »محمد« وفرح به ومنحه الكثير من نفسه ومن خبراته وثقافته حتي أنه حين قرر أن يترك رئاسة تحرير الجريدة بعد أن أخذ السرطان يدهمه اختار لها شابا واعدا وموهوبا ليرأس تحريرها هو »خالد البلشي« الذي شهدت مجلة »اليسار« بداية تألقه كمحقق يساري ومهني بامتياز قبل أقل من عشرين عاما. وواصل »خالد« طريق »محمد السيد سعيد« وتحولت »البديل« على يديه إلى صوت للاحتجاجات الشعبية الواسعة بحكم أنها جريدة يومية إلى أن تكالبت عليها الأزمة المالية والصغائر لتغلق أبوابها.

وسوف يكون العمود اليومي الذي كتبه »محمد السيد سعيد« في جريدة »البديل« على امتداد عام أو يزيد قليلا موضوعا للدرس الأكاديمي، لا فحسب كمصدر غني للمعلومات وعمق التحليل وصواب النظرة، وإنما أيضا كدرس في النزاهة والاستقامة السياسية والأخلاقية والمهنية رغم التقلبات التي كان يقع فيها بين الحين والآخر، وتناقض المواقف أحيانا أخرى.

ولن ينسى قراء »البديل« تلك السلسلة من الدراسات النادرة التي نشرها فيها »محمد« عن المملكة العربية السعودية، من قصة التأسيس ونشوء الحركة الوهابية إلى الدور المدمر الذي لعبته الأسرة الحاكمة مستعينة بالثروة النفطية الطارئة لتغزو العالمين العربي والإسلامي بأفكار التطرف والتكفير والرؤية الجامدة الحرفية للدين بالعقوبات البدنية والوجه البدوي الذي صبغت به الإسلام، وأسهمت بذلك في تعطيل الاجتهاد والإصلاح وتجديد الفكر الديني وتحرير النساء ولهذا كله جاءت المنطقة العربية في ذيل قائمة الدول من حيث توفر الحريات وحقوق الإنسان فيها لأنها تنتهكها أشد الانتهاك من التعبير للتفكير للاعتقاد وتحاصر النساء وتفرض عليهن الوصاية والرقابة، وكانت الثروة النفطية بذلك نقمة على العرب بدلا من أن تكون نعمة لهم تؤدي إلى التطور والتقدم والحداثة والديمقراطية مع دور محوري في السياسة الدولية، بل إن المنطقة سقطت بفضل السياسات السعودية ثم المصرية بعد ذلك في مستنقع التبعية للولايات المتحدة الأمريكية.

ومن سوف يدرس المنظومة الفكرية التي تحرك »محمد السيد سعيد« في إطارها سوف تدهشه الروح الخلاقة المجددة التي ألهمته، ويكفي أن يتوقف المرء أمام مفهومه للثورة الذي تجاوز به الإطار السياسي الاقتصادي ليدرج فيها كل الإنجازات الجديدة في ميادين العلم والطب والهندسة والرياضيات والتطور التكنولوجي، داعيا كل المناضلين من أجل تغيير العالم إلى الأفضل على طريق تجاوز الرأسمالية وصولا إلى الاشتراكية لوضع كل هذه الإنجازات الثورية في الاعتبار، لا فحسب باعتبارها مجرد أدوات للتغيير ولكن أيضا كأفكار وإضافات للعالم الشاسع للأدبيات الثورية.

وسوف تحسن زوجته الصديقة (نور الهدى زكي) صنعا لو أنها جمعت تراثه في كتب تضيء للأجيال القادمة طريقها.

الرحيل قبل الأوان مؤلم.. والفراغ الذي سيتركه محمد السيد سعيد أشد إيلاما.. فليرحمه الله ويرحمنا.

آراء وأفكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة .
٢. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
٣. لا تزيد المادة على ٧٠٠ كلمة.
Opinions112@ yahoo.com